قصة قصيرة

خيط الجنون الجميل

منار حسن فتح الباب

تشدو طيور النورس في الأفق البارد شدواً حادّاً جديداً.. والبحر مُتَّسَع من غياهب النجوم التي تصرخ كالمواليد.. السماء الحبلى ببذور الأرض الخضراء تتمايل في غير وعي..

تهبط النجوم الوليدة متلاحقة وتنضج في أرحام الكائنات البحريّة المتناحرة.. تنضج في حجم واحد.. ثم تتراقص حتى تتحوّل إلى عرائس بحر شريدة في جوفها ذكريات النجيع في سفوح لبنان والجوع الميت في أحضان قبور القاهرة المسكونة.

تشطر العرائس المويجات السابحة دون هدف.. تشرد المويجات.. تندفع.. تهرع شمالاً.. تسدّ مضيق البحر أسفل صخره طارق.. وتعود ذليلة تنهشها الرغبة في إغراق الهاربين إليها بجاههم من سفوح تل أبيب، واحتضان المذعورين نحوها خوفاً من شبح طبول حمر الهنود التي صمتت إلى الأبد.

تتشقّق قلوب العرائس إلى ذرات ذعر طاغ ينمو.. يلملم أشلاء الأحلام المتصارعة.. حول علبة مشروب أمريكي.. حول قطعة خبز سوداء أو قميص حربي فلسطينيّ.. يلملم الذعر فتات الصرخات المكتومة ودموع دعاء السماء في كل يوم في أرض مكة، فيتناثر سواد الغطاء الشريف فوقه.. يمتدّ الذعر.. يغدو سراً من أسرار الكون..

النظرات تهبّ من عرائس البحر.. تتحرّك حوائطها إلى ساقَيْ جندي وحيد.. يخطو في ظلال البراءة الذليلة التي تغوص في رمال سيناء.

ثرثرة مذياع بعيد تتمايل بلذّة وصخب حول أسوار الثكنات، تمحو أصداء الموج.

الهمس الداخلي الحزين في صدر الجندي المنسيّ جيش أعزل أُلْقي ممزق الثياب خارج أسوار (غرناطة) وتلاشى في فروع الأشجار المحروقة المنحدرة بكاءً على القدس المحتضرة.

الحديث بين السياج في الأفق جنون وحشي يرخي أهدابه الشوكية على حبّات الرمال الدافئة.. تتكاثف الضحكات الرعناء واللهجات الغريبة.. تتّسع في أجواء العالم.. تملأ ابتسامات قطط الأغنياء في شوارع (باريس).. تحذّرهم من شاب يتدثر بعباءة عربية.. تملأ أشداق الأمم المتحدة بجرعات الهذيان.. تفتق أرحام نساء المخيّمات.. تفتّق زجاجات الخمور.. تغتلي دماء بيروت.

تتقاطر الدماء في عروق الجندي.. تتكاثر ظلاله.. الأقمار تتكاثر.. تتكاثر الأحاديث.. تدور.. تخفت في خبث.. وتمضي تبعثر ضحكاتها في خيالات الصواريخ الأمريكية البراقة.. وتنضم في موجة واحدة تمتدّ لتنهش صخور البحر العريان.

الرمال لا تزال تحرك ساقيّ الجندي.. تزحف معها جروح السنوات العشر السبعينية.. تتعثّر الساقان في حلم من أحلام «الحسين».. الحلم يكبر لحظة.. ينمو حقداً يرمق به الفتى الوحيد مرايا أشعّة الشمس السمراء المنهوبة والعاكسة للأجساد البيضاء العارية المفتونة بالتجول.. لحوم الأجساد البيضاء لا تزال ملتصقة بالرمال تلوثها بشحوم العرق المترف.. العرق يتصاعد من جبهة الفتى.. يتناثر.. ينتشر أكسجيناً في جوف السماء.. يذوب على جبهة الرمال فيثيرها.. يصير همس أقدامه على الرمال صخباً.

الرطوبة في فقرات ظهره النحيلة تشعره بحرارة مشتعلة تعتصر ذراعيه المتشبثتين بمدفعه الرشاش..

مصر.. عشقتك حتى الجنون.. لم يعد لك يا مصر تلك الطيبة الحمقاء.. لم يعد لي ذلك الوثوب المتردّد وطلب الرحمة للشهداء.. إنهم هنا.. كلّهم.. في جسدي.. في رصاصتي.. مصيرهم ملاذي.. وملاذهم قلبي الحرّ.. وأنتم يا إخوتي الصغار.. من أجلكم.. من أجل العذوبة المسالمة في شفاهكم التي باتت تخاف الدمار وأقراص مخدرات الكلاب الدخيلة.

شفتاه وردة أندلسية.. وجهه الهادىء إشراقة طفل عربيّ ولد شهيداً.. وغاب في فراغ الكون العقيم تاركاً حشرجة نداء مرّ الطعم لكل الصغار أن يثوروا.

شقوق قلبه تتجمّد.. تجمدات قلبه ثورة ماتت من شدة الذهول.. الصمود في نفسه قطرات جنون ثائر تشق أنفاس الدخلاء.. تثقبها.. تميتها... تحييها.. تقتلها..

خيط الجنون الجميل خيط حالم نام الليل في فلسطين واستيقظ على باب الأزهر.. خيط الجنون الجميل نبع يتسرّب من أحشاء الفتى المجنّد فيعاوده الاعتصار.. كجنين البيضة الذي ظل ينمو باعتصار المحّ الأصفر المسموم بنفثات القتلة القابعين في سفاراتهم.. موسيقى السديسكو تصخب.. تتعرّى.. تثمل.. الأجساد تغنّي.. تقهقه.. تعربد..

عضلات الوجنتين ترتخيان لتجحظ العينان.. تغنّيان الحب والغد.. تتطاير الأهداب في نفثة التمرد.. يبرز الرأس.. تضيق جفون العينين في تجعّدات الذلّ العربي وتشقّقات الثأر الدفين.. حركة الجسد حول المدفع خيمة متكوّمة بتمرّد في (صبرا).. طعم الرصاصة الحبيبة في لعابه قبلة.

يزلزل ارتعاش ذراعية الشابتين أجزاء الكيان النازي.. ينثرها.. أجساداً.. حروفاً.. آذاناً.. عيوناً.. شعرةً شعرة..

الكون سكون.. والراية بعيداً يحجبها الهواء الساخن.. أنقاض الخريطة العربية تبتسم في خنوع..

الجثث العفنة عرايا يصطفّون في مواجهة البحر.. النجوم تخفق بابتسامات الشهداء.. سناء هناك.. طيور النورس تنثر رمال سيناء في السماء وتنثر أجنحتها كي لا تميل..

ينحدر الموج برذاذ حار يقبّل رأس الثائر.

(وهران)

هل؟

ابراهيم زيدان

قالوا لي كُنْ خَيّاطا.
وَاصْنَعْ
للسيّدِ قمصاناً
حسبَ الذوقِ الرسميِّ،
وَرِباطا.
لكنّي صحتُ بأَعْلى الصَّوتْ.
دَعوني لِطَريقٍ أَحْبتهْ.
فَأَنا لا أعرفُ.
غيرَ الكلماتْ.
في هذي الدُّنْيا
هيَ عنواني
وَصَلاتي في هذي الوحشةِ،
ايماني.
قولوا للسيّدِ.
هَلْ يقدرُ انسانٌ
أنْ يَسْتغني عَنْ نبضِهْ؟
إذْ ذاكَ،
سَأدخلُ قائِمَةَ الموتى
وَأَقولُ سلام الله،
عَلى الأَحياءْ.

بغداد